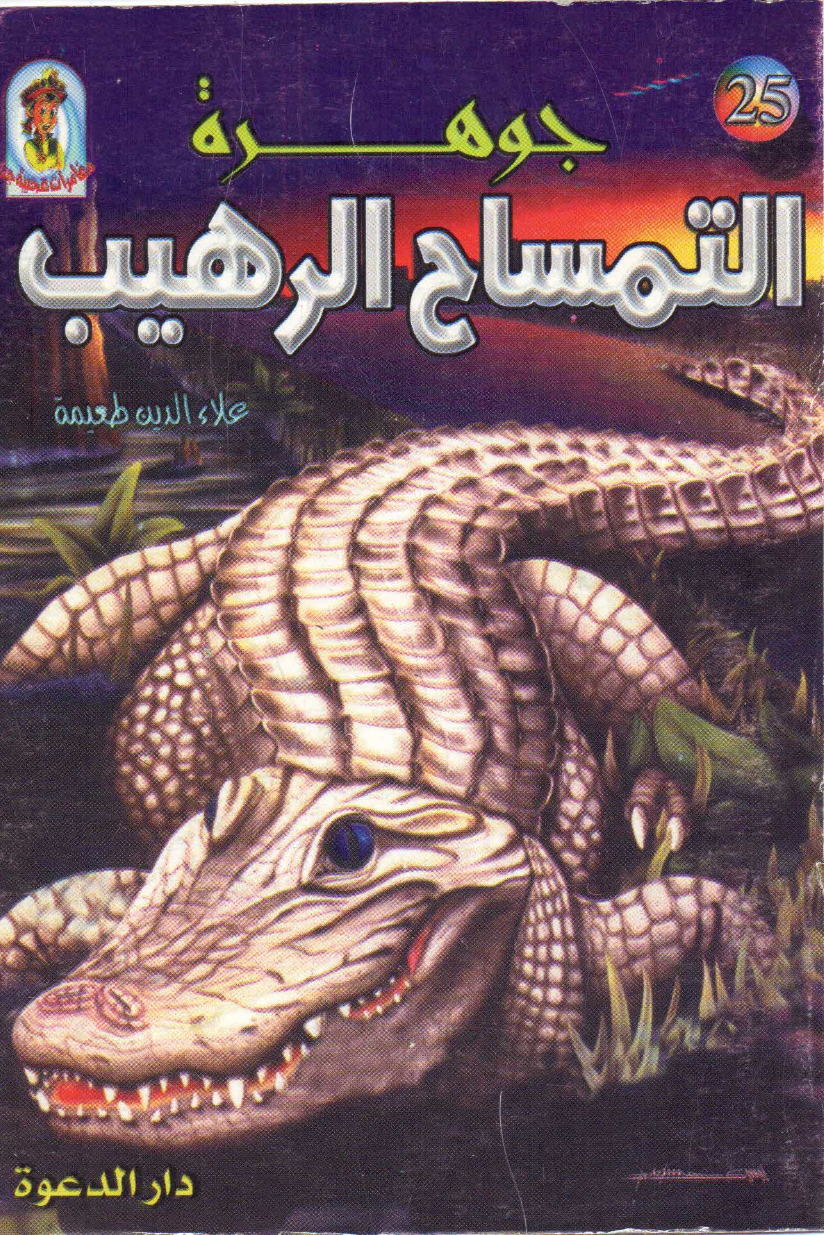


25
جوهرة
التمساح الرهيب
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



«جوهرة التمساح الرهيب»

ولما أشرقت الشمس صحا من نومه ومد بصره .. فإذا بعض الرجال يحكمون إصلاح الأسوار التى حطمها التمساح بالليل عندما هجم عليها وخطف إحدى الأغنام وفر بها إلى النهر وحال جلده السميك جداً دون عضات ونهشات الكلاب ..

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق .
- أغرب الرحلات والمفارقات .
- تجمع بين المتعة والمعرفة .
- لا غنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

تطلب منشوراتنا من

الدار العربية للتوزيع

٢ ش منشا . محرم بك . الاسكندرية

ت: ٤٩٠٧٩٩٨ . ت/ فاكس: ٥٤٣٦٨٢٣

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً ..

25

جـــوهـــرة

التمساح الرهيب

الطبعة الثالثة
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

رقم الإيداع القانونى
٩٩/١١٦٧٤

الترقيم الدولى : 977-253-242-5

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الاسكندرية
☎ ٣٩٠١٩١٤ ـ ٣٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٠١٦٩٥

جوهــرة

التمساح الرهيب

تأليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسري حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري




بسم الله الرحمن الرحيم

٥

انطلق مؤمن في مغامرة جديدة .. متوجهاً إلى بلاد النهرين.. حيث الطبيعة الساحرة والحقول الخصبة والظلال الوارفة والخيرات التى لاحصر لها.. إلى بغداد والبصرة والموصل. كان يجوب فى جولة واسعة.. لقد رأى على التاج شكلاً واضحاً للنهرين دجلة والفرات فلم يدخر وسعا بل هرع يقطع البلاد و الفيافى حتى وصل ووقف بقدميه على شاطىء الفرات.. لم يجد مؤمن ما يفعله إلا الإستمتاع بالطبيعة والطواف فى مدن العراق الجميلة فلم تكن هناك مغامرة محددة يعرفها ـ أخذ يعب من سعادة التنعم بالخير ، فكل شىء فى هذه البلاد ينبىء بحضارة قوية.. كما أخبر من قبل بحضارات سالفة

٦

كان لها صيت وهيمنة على بلاد الدنيا . . ، رأى مؤمن في عيون الناس سعادة وفرحة ، كما أن الدهن الذى يشع به جلودهم فتلمع وتصح فى نور الشمس يدل على تغذية جيدة ورخاء لا حد له . . وتأكد له أن أهل العراق أهل كرم وحسن ضيافة . . فكل من عرف أنه من مصر الشقيقة أكرم وفادته وأحسن نزله .

ظل مؤمن يسير مع النهر الشرقى «دجلة» ويزور بلاد كثيرة على ضفاف النهر ، وعندما وصل إلى قرية(الكوت) بدأ يسمع من الناس أحاديثاً كثيرة عن بغداد وجمالها ورخائها . . فقرر أن يتوجه اليها . .وسار صاعدا مع النهر حتى وصل إلى قرية النعمانية وهناك عاش بضعة أيام تمتع فيها بسماع

٧

الحكايات والأساطير الجميلة.. وذات صباح قرر أن يتوجه إلى قرية جديدة وبينما يعد الجواد للرحلة.. إذ بصياح يأتى من بيت مجاور.. فترك حاجاته وهرع نحو مصدر الصوت، فرأى في حوش الدار سيدة تنوح وبجانبها طفلتين صغيرتين ورجل واقف على رأسهن مطأطىء الرأس حزيناً:

ـ عفوا... ماذا بهن يا سيدى ؟

ـ لا شيء لا شيء..

أخذت السيدة تصرخ وتحمل من تراب الأرض ثم تضع على رأسها وظل مؤمن بجانبهم حتى عرف أن زوج هذه المرأة قد مات فى حادث أليم:

ـ اهدئى يا سيدتى.. فهذا قضاء الله وقدره.. إن

الأعمار بيد الله

ـ ونِعْم بالله.. لكن من سيكون للطفلتين..؟

ـ لهما الله يا سيدتى..

أخرج مؤمن من جيبه بعض الدنانير وأعطاها للسيدة ثم غادر الدار وكله أسىً على حالها..، وعاد إلى جواده مرة أخرى ولما هم بالركوب؛ رأى الرجل الذى كان مع السيدة فناداه:

ـ سيدى.. سيدى ... عفوا هل لى أن أعرف ما هو الحادث الذى أصاب زوج السيدة؟

كان الرجل حانقا غاضبا فنظر إلى مؤمن شزراً كأنه ذكره بما يؤلمه ثم ألقى عبارة واحدة وسارع بالمشى بعيدا عنه، فنظر مؤمن فى دهشة وتساءل :

٩

ـ تمساح؟... أكله تمساح؟!!

أدرك مؤمن أن عليه الوصول إلى بغداد فى أقرب وقت، ولكن كان عليه قبلا أن يحط الرجال للراحة بقرية العزيزية، حيث سينطلق من بعدها مباشرة إلى بغداد ..، وفى العزيزية أخذ يسمع كلاما عن التمساح الذى يسكن نهر الفرات فى الكوفة.. لكن لم يجزم أحد بوجوده.. إذ لم يره أحد، أخذ مؤمن يسمع هذه الأخبار بشغف شديد... هناك من يأخذ هذه الأخبار على محمل الجد، وهناك من يعتبرها أكاذيب وتخاريف لأناس يهذون أو يخرصون..، ولكن مؤمناً الذى أتى تواً من قرية رأى فيها سيدة تبكى زوجها الذى أكله تمساح لم يكن ليهدأ حتى

١٠

يتتبع هذه الأخبار ليعرف مصدرها الحقيقي..، وتساءل: ما الذى بعث بزوج هذه السيدة إلى الكوفة؟.. هل كان تاجرا يطوف البلاد؟.. أم صياداً على شراعية تجوب النهر؟ أم أن هناك تماسيحا فى أماكن أخرى؟.

تأخر عن موعد وصوله إلى بغداد.. ومكث بالعزيزية أياما كثيرة.. سأل الناس.. الصيادين.. البحارة.. التجار.، بل لقد وصلت إليه أخبار عن زوج السيدة التي تناولتها الألسنة.. ووجد صعوبة ومشقة فى معرفة مصدر الأحاديث، مَنْ الذى أتى من الكوفة ليحكى عن التمساح؟.. البعض قالوا عن البعض، ولكن ما من احد بعينه يخبر أنه كان هناك ورأى.



وذات صـبـاح قـام مـؤمن وقـد عـزم الا يذهـب إلى بغداد.. بل ولّى وجـهـه شطر الكوفـة.. وظل سـائرا يقطع عشرات الأميال ما بين النهرين فمر بالقرى والمدن حتى وصل إلى كربلاء فأمضى بها ثلاثة أيام ثم توجه إلى قرية (الحلة) ومنها هبط إلى الكوفة بعد ما عبر النهر فى النهار.. وهناك أحسن أن مغامرته الحالية تقبع فى أعماق هذا النهر. كانت الشراعية الكبيرة التى رست على شاطىء الكوفة تحمل بضائع كثيرة وتجارا ومزارعين من أهل العراق، وكانت هناك احتياطات بالغة الحذر.. بدلا من أن يهبط الناس أو البضائع على الشاطىء مباشرة؛ كان هناك جسر خشبى طويل يمتد إلى مسافة كبيرة من

السفينة إلى البر وعليه يقف صفان من حراس أشداء يحملون الحراب وينظرون إلى الماء تحسبا لظهور التمساح الذى قد يطمع فى التهام أى من رواد السفينة الشراعية. مر مؤمن بجواده فوق الجسر وهو يتعجب مما يرى وبعد أن غادر الجسر أراد أن يتوجه إلى الماء لينظر فيه.. فنهره الحراس فعاد من حيث أتى، ثم اعتلى الجواد ودخل الكوفة وأعجبته هذه البلدة بمساجدها وبيوتها وأهلها وذكرته الحقول المترامية بمصر وخضرتها وإسلامها المتين . ولما صلى الظهر بأحد المساجد انتظر حتى انصرف المصلون ثم توجه إلى امام المسجد وسلم عليه وعرفه بنفسه:

ـ أهلا بك يا مؤمن يا ولدى فى بلادك.. بلاد

العراق.. ها.. هل لك قريب عندنا فى الكوفة؟ أم أتيت فى تجارة؟

- لا هذا ولا ذاك سيدى.. اننى أبحث عن جواهر التاج .

- جواهر .. هل أتيت من مصر لتبحث عن جواهر بين حقول الكوفة ياولدى؟ ما أغرب أمرك !!

- سيدى.. هذه قصة طويلة.. سأرويها لك فيما بعد.. اعلم أننى كنت متوجها فى الاصل إلى بغداد ولكننى عاودت راجعا اليكم بعدما سمعت بأمر التمساح الذى يرقد فى نهركم .

- آه... أعوذ بالله.. لا تذكره يا ولدى وإلا وجدناه يدخل علينا الآن .

ـ يا إلهى . . . ألهذه الدرجة !!؟

ـ واكثر من ذلك . . أتعرف يا مؤمن . . الناس هنا لايصدقوننى . . إننى أقسم بأنها تماسيح وليست تمساحاً واحداً .

ـ تماسيح ؟!!

ـ الكل يقولون أنه تمساح واحد . . ولكنها أكثر يا ولدى .

ـ وهل رأيتهم ؟

ـ لا لم أر غير تمساح واحد . ولكننى لا أصدق أن تمساحاً واحداً يفعل بنا كل هذه الأفاعيل، ثم إن أحدهم ذات مرة رماه بحربة من فوق سطح داره فرشقت فى صدره وقال الرجل أن التمساح فر

هارباً بالحربة نحو النهر .. فهل تصدق يا ولدى أن التمساح يعيش بعد ذلك .. لا .. لا .. لابد أنه مات .. ثم لابد أن مجموعة تماسيح تسكن النهر.

شكر مؤمن إمام الجامع وخرج وكله حيرة .. أخذ يفكر فى كلامه ومن شدة شغفه بالحديث نسى أن يبحث عن مكان يبيت فيه ليلته .. ووجد جواده قد قاده إلى مرعى كبير وقبل أن يغيب القمر لمح خيمة كبيرة لقبيلة صغيرة من البدو وبجانبها الأغنام ورأى حول الأغنام سوراً متيناً من أخشاب الشجر ومجموعة من الكلاب تحرس الجميع .. واستأنس صاحبنا بهذا المنظر فشرع ينصب معسكره على مقربة منهم .. فأتى إلى تل صغير وأخذ يشد أوتاداً

لخيمته الصغيرة ثم نصبها وألقى على أطرافها الرمال والحجارة ثم دخلها ، وأوقد الشمعة التى صنعها من قبل من دهن الحيوانات وأغلق باب الخيمة ثم أخرج الأغطية فتذكر جواده المربوط فى أحد أوتاد الخيمة خارجها فحمل بعض العلف الذى كان يدخره له ثم خرج إليه يطعمه قبل أن يأكل هو .

وجلس فى خيمته بعد أن تناول طعامه يصلى ماعليه من فرض الله ونافلة يدخرها ليوم الحساب وقرأ القرآن ثم جلس يفكر فى ما يمر به من أحداث . . ويصل إلى أذنه بواسطة الريح أصوات أهل القبيلة المختلطة بنباح الكلاب مما كان يشعره بالأنس . . وكان عناء الرحلة كفيلاً بأن يشدَّه إلى نوم عميق . .

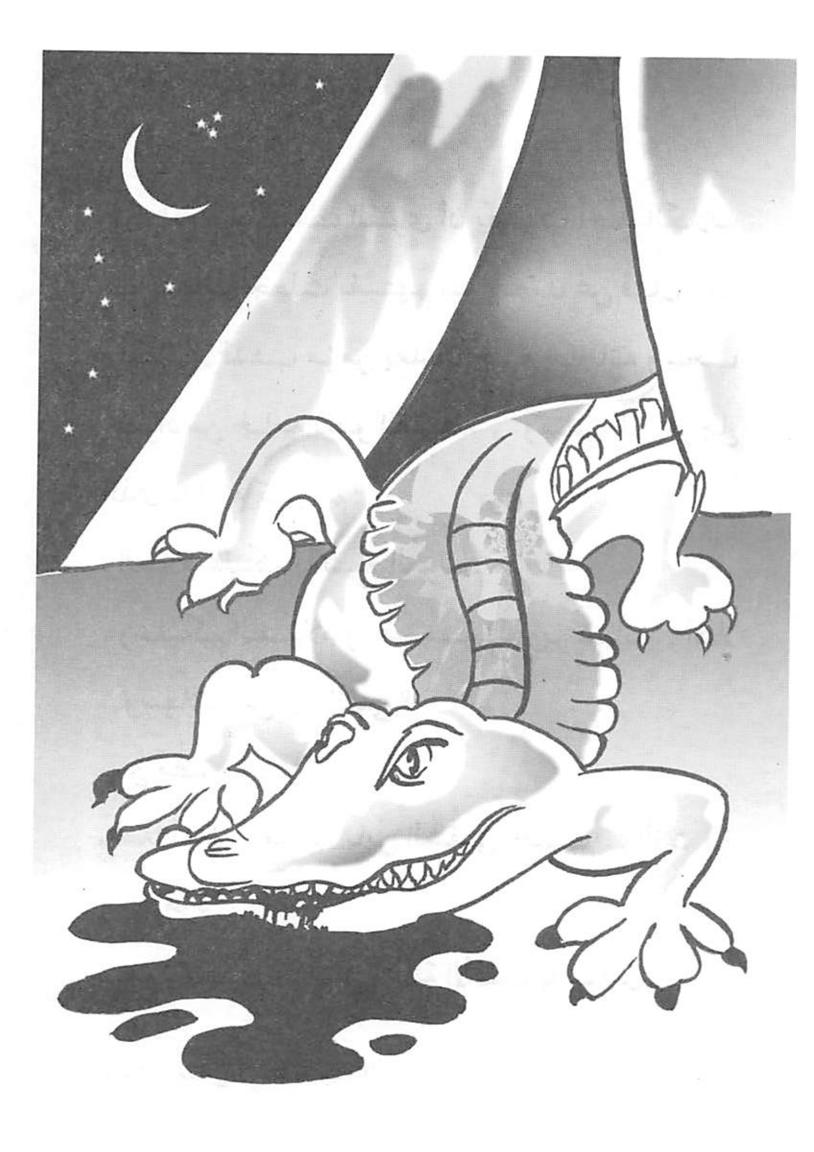
فلم يدر إلا وهو يمد يده إلى الشمعة فأمسكها ثم نفخ فيها ورقد، ثم سحب فوقه الغطاء وهو يقول «باسمك اللهم وضعت جنبى وباسمك أرفعه، فإن أمسكت نفسى فأرحمها وإن أطلقتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» وذهب فى نوم عميق .. فنوم المُتْعَبْ العميق يلذ كثيراً . ومن كثرة ماكان يشغل ذهنه فى النهار من أحداث وأفكار لم يجد لها حلاً فقد رأى فى منامه مايعبر عنها .. رأى مؤمن نفسه نائما فى الخيمة ورأى التمساح الرهيب يمد رأسه خارج ماء النهر ثم يتقدم زاحفاً لايشعر به أحد ويتقدم ويتقدم قاصدا البقعة التى نام فيها .. ورآه وهو يسرع الخطا نحو الأغنام وقد سال لعابه من

حلاوة الفريسة المنتظرة ورأى أن التمساح اعترضته
الخيمة التى ينام فيها فضربها التمساح بذيله وتقدم
فوقها وشعر مؤمن بثقل جسم التمساح فوق صدره
وبطنه.. فقام مذعوراً يصرخ .. ولكنه كاد يموت
فرقاً.. إذ إن الحلم لم يكن حلماً وأن ما رآه منذ
لحظات ما هو إلا حقيقة وأن الخيمة كلها كانت فوقه
محطمة وإن جسماً ثقيلاً زحف فوقه متقدما
بسرعة.. وقبل أن يوقد الشمعة ويتحسس الأشياء..
إذ به يسمع نباح الكلاب وقتالها الضارى والأغنام
تصرخ فى فزع ثم صياح الرجال والنساء.. وفى
عتمة الظلام الدامس بحث عن سيفه وحاول أن يلحق
بالمنكوبين، لكن الأشياء كلها قد ضاع مكانها.. ولما

عثر فى آخر الأمر على السيف كانت الأصوات تقل فى حدتها وصمتت الكلاب إلا من زومة المجروح .. وبقى لغط الناس ينبئ بحسرة وخوف وتوجس.

ولم يشأ مؤمن أن يثير جواً آخر من الفزع إذا خرج إليهم .. فسوف تكون هناك فترة من القلق يسببها لهم حتى يتعرفوا عليه .. فآثر أن ينتظر حتى يطلع الصباح.

ولما أشرقت الشمس صحا من نومه ومد بصره .. فإذا بعض الرجال يحكمون إصلاح الأسوار التى حطمها التمساح بالليل عندما هجم عليها وخطف إحدى الأغنام وفر بها إلى النهر وحال جلده السميك جداً دون عضات ونهشات الكلاب .. بل



تمكن بذيله الصلب القوى أن يضرب أحد الكلاب ضربة قاتلة جعلت بقيتهم يتراجعون عن قتال غير متكافئ، فذهب مؤمن بعد أن جمع حاجاته وسحب الجواد من لجامه نحو القَبيلة .. وسلم على الرجل الذى بدا أنه كبيرهم:

ـ السلام عليكم يا شيخ العرب .

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. أهلا وسهلا.. من أين الفتى؟

ـ من مصر ...

ـ أهلا أهلا .. مرحباً بابن الشقيق الحبيب .. أأنت من القاهرة؟

ـ نعم ياسيدى .. أنا فى غاية الأسف يا سيدى .

ـآسف ؟ .. ولِمَ ؟!

ـلما حدث لكم بالأمس.

ـوهل رأيت؟

ـنعم يا سيدى .. كنت نائماً بالقرب منكم .. ورأيت حلماً مفزعاً ثم إذا به يتحول إلى حقيقة ولكننى .. معذرة.. جمدتنى المفاجأة فلم أستطع عمل أى شئ ..

ضحك الرجل ونظر إلى رجاله ممن يلتفون حوله ثم قال:

ـوهل كنت تستطيع فعل شئ للتمساح الرهيب يا ولدى؟

وضحك بقية الرجال ولولا أن مؤمناً ضيفهم

لاستمروا فى السخرية منه :

- رويدكم يا رجال.. رويدكم هذا الغلام ضيفنا اليوم.. ومن حقه أن نذبح له شاة كتلك التى سلبها التمساح بالأمس.

- لا .. لاداعى ياسيدى ..

- كيف تقول ذلك ياولدى؟ . نحن عرب .. وإكرام الضيف واجب علينا .. لابد أن تبقى معنا عدة أيام حق ضيافتك .. هيا يارجال .. أخرجوا شاة طيبة واذبحوها .. والليلة سنقيم سامراً للمصرى الصغير .. فمصر أهل كرم بالغ .

قام الرجال يؤدون ماأمرهم به رئيسهم .. وربط مؤمن فرسه فى جدار الحظيرة، وصَحِبَه أحد شباب

القبيلة إلى خيمة منفردة فرأى مؤمن أن المعسكر الذى تعيش فيه القبيلة كبيراً .. فمن البعد لم تكن سوى خيمة واحدة كبيرة أما الآن فهناك عشرات الخيام تتراص فى شكل مموه بين التلال بحيث إذا نظر الرائى من على البعد ومن أى اتجاه لم ير غير خيمة واحدة أمامه .. وقبل أن يدخل مؤمن الخيمة رأى تدريبا للجنود فى الميدان على أعمال القتال بالسيف والحربة ورمى السهام وبعض أشكال المصارعة الحرة.. فتعجب وآثر ألا يسأل أحدا إلا قائد القبيلة .. ودخل خيمته فوجد بها فراشا وثيرا ومائدة مستديرة عليها ما لذ وطاب من أنواع الفاكهة والشراب الحلال .. فحمد الله .

وظل في خيمته يغتسل ويغسل ملابسه ويتركها تجف في حرارة الشمس مرتدياً عباءة خفيفة، ثم بعد أن جفت عاد يلبسها .. وضبط هندامه وعاد أنيقا كأنه فى بيته ثم أخرج زجاجة العطر التى يحتفظ بها فتعطر ثم ارتدى حذاءه وخرج بعد الظهيرة إلى خيمة رئيس القبيلة الذى رحب به أيما ترحيب.

كان رئيس القبلية ذا مظهر مهيب فهو مقوس الحاجبين.. له شارب كثيف فى وجه أربد طويل القامة عريض المنكبين.. حادُّ النظرات.. هامته فى السماء.. فظن مؤمن أن أنفه المرفوعة تجعله يبدو دائماً مدعياً للعظمة والكبرياء وأن الذبابة التى تحاول دائما إن تحط على جبهته أجيرة عنده ليبقى

متأنفاً مستاءً من كل شئ .. لكن صاحبنا أراد أن ينفى عن نفسه ذلك الظن بعد الحفاوة التى استقبله بها ولكرم ضيافته البالغ .

أخذه القائد من يده وذهب به يستعرض قواته.. ورأى مؤمن فرقة من الجنود الأقوياء كما رأى أنهم يملكون أنواعا جديدة من الأسلحة التى تقذف بكتل النار.. ورأى جنودا يتدربون على القتال بالخنجر فشعر أنه بين قبيلة مقاتلة مدربة لخوض أعنف المعارك. ولما جن عليهم الليل تحلق مؤمن مع كبار الرجال تحت إمرة رئيسهم الذى تأكد له أنه مصاب بالعظمة والغرور ـ حول الشاة التى تشوى فوق الحطب المشتعل :

ـ سيدى.. معذرة... أرى أننا بهذه المسامرة نعرض أنفسنا لهجوم التمساح.

ضحك الرئيس عاليا وقال:

ـ التمساح جبان يامؤمن... إنه لا يهاجمنا الا ونحن نيام.

ـ ولكن... قد يفعلها يوما ما ويباغتكم ـ سيدى.. لماذا لا نضع خطة لقتل التمساح حتى نرتاح ونريح الناس كلهم.. لديك جيش قوى يستطيع أن يقضى عليه.

ـ جيشي أنا يحارب تمساحاً؟.. لا أيها المصرى.. ما خلق جيش لذلك.

ـ ولم لا إذن؟

- من أجل الأرض.. إن بيننا وبين جيراننا من القبائل ثأر قديم.. لقد سلبوا أرضنا من قبل ولابد أن نستعيدها منهم.. سنهجم عليهم فى القريب العاجل.

تعجب مؤمن من حديث رئيس القبيلة وبعدما انتهى الشواء جلسوا جميعا يأكلون، ولكن مؤمناً كان قلقا متحفزا بين الحين والآخر ينظر أمامه فى الظلام ويتحسس سيفه بأنامله، وكلما لاحظ الرجال ذلك ضحكوا منه.. فأحس بالحرج وتأكد لنفسه أنه هو الخائف الوحيد فى هذا المكان من التمساح.. وانتهى السامر وانفض الجمع وعاد كل واحد إلى خيمته وكذلك مؤمن الذى؛ إن انفرد بنفسه أخذ

يتساءل: عجبا لهؤلاء القوم.. كيف ينامون وهذا الوحش يهدد أرواحهم.. هل أمنوا أن تخرج مجموعة من التماسيح من النهر وتفتك بهم جميعا؟.. شيء عجيب..!!

وفى اليوم التالى جلس إلى رئيس القبيلة:

ـ سيدى.. أنا لا أفهم أى شيء.

ـ ها ها... اسمع يا مؤمن... نحن قوم تعودنا على الخطر.. ولكن كما ترى.. لدينا الخير من كل شكل ولون.. ولدينا جيوش عتيدة ومعدات حديثة للحرب.. وكل ما يشغل بالنا أن نؤدب جيراننا

ـ سيدى... هلا تفاهمتم وجيرانكم وتراضيتم ثم تعاونتم سويا للقضاء على مصدر الخطر.

- سيقول لى مصدر الخطر، مصدر الخطر!!.. ليس هناك أخطر من جيراننا

- سيدى لقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أن نحسن معاملة الجار وبين لنا أن جبريل ظل يوصيه بالجار حتى ظن النبى ﷺ أنه سيورثه ..

- نعم نعم يا مؤمن.. نعم..

- وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذى جاره» وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليحسن إلى جاره»

- ولكن... لقد سلبوا منا الأرض.

- منذ متى هذا الحديث؟ أكل هذه الأرض لكم وتبحثون عن غيرها؟

ـ في الحقيقة أن جيراننا كانوا تحت أمرتنا في العهود القديمة.. ثم استقلوا عنا

ـ العهود القديمة.. لقد ورثت ثأراً إذا!..!!، ما ذنبك أن تقترف جريمة؟ وما ذنب جيرانك فيما فعل أبائهم الأولون..؟

ـ بئر من وقود الحياه.. بئر ماء يا صديقي.. الماء.. لقد اكتشفوا أن لديهم ماء كثيرا يتفجر في أرضهم وكانوا من قبل لا يجدون غير قطرات الندى في الصباح الباكر

ـ آه... تحارب جيرانك حتى تستولي على بئر الماء وأنت لديك النهر بأكمله.. أما هم.... فيقطنون الصحراء... بدلا من أن تعمل على شق ترعة من

النهر اليهم تحاربهم فيما أعطاهم الله من رزق ؟

ـ حقنا . . . أتريدنا أن نتنازل عن حقنا يا مصرى؟ . .

ـ بل عليكم مراعاة الجار . . ألا تذكر قول رسول الله ﷺ لأبى ذر ـ رضي الله عنه ـ :

ـ ماذا قال ؟

ـ قال « يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر مائها ، وتعهد جيرانك » وفى رواية له عن أبى ذر قال : إن خليلى ﷺ أوصانى : « إذا طبخت مرقا فأكثر ماءه ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك ، فأصبهم منها بمعروف » أما أنت يا رئيس القبيلة فتنوى بجيرانك شراً .

لم يفلح مؤمن فى إقناع الزجل بسوء ما يقدم عليه وقـــــرر أن ينـصــــــرف من هـذا المكـان إلـى مكـان

آخـر . .عـسى أن يجـد أحـدا يعـينه على الـتخلص من الخطر الذى يهـدد الناس جمـيعا . وفكر أن يذهب إلى ذات القبـيلة التى ينوى الرجل المغرور أن يـهاجـمـها يوما مـا . . وسـار في حـذاء النهـر فتـرة . . وكلمـا خلا أمامـه الطريق انتهز الفـرصة أن ينظر إلى النهـر عسى أن يـلمح هـذا الـوحـش الـرهيـب . . فــهــو يعلـم أن التمـساح حيوان بَـرمَائي يعيش فى الميـاه العذبة ويعلم أنه حـيـوان مـفـتـرس . . ولكن مـا لم يره من قـبل أن التـمـساح يثـيـر كل هذا الرعب فى بـلاد واسـعـة قـوية مــثل بلاد العـراق . وفـى الظـهـيـرة لاحت فـى الأفق مـضـارب قـبيلـة . . ظل واضـعـا إيَّاها نصب عـينيـه ثم تقـدم حـتى رآه بـعض أهلهـا فـأقـبلوا يرحـبـون بـه . .

وعرفوا حكايته وجلس إلى الشاب الأسمر العربى الذى يتزعم القبيلة الصغيرة وتحدثا عن خطر التمساح :

ـ هل أصابكم منه أى مكروه . . ؟

ـ فى الحقيقة . . . ـ وقد تندهش ـ من أنه لم يقرب أى شاه ولا بيت من بيوتنا . . إنه فقط يزور القبائل بالليل . . يخرج من النهر ثم يلتهم ما شاء له من قبيلة المغرور المتكبر « عضام » .

ـ شىء عجيب . . ما دام التمساح يمر بكم . . فلم لا يعمل فيكم أسنانه . . ؟

ـ لاأدرى لذلك سببا يا مؤمن . . البعض هنا يقولون . . إن التمساح ما أتى إلا ليحمينا من «عضام»

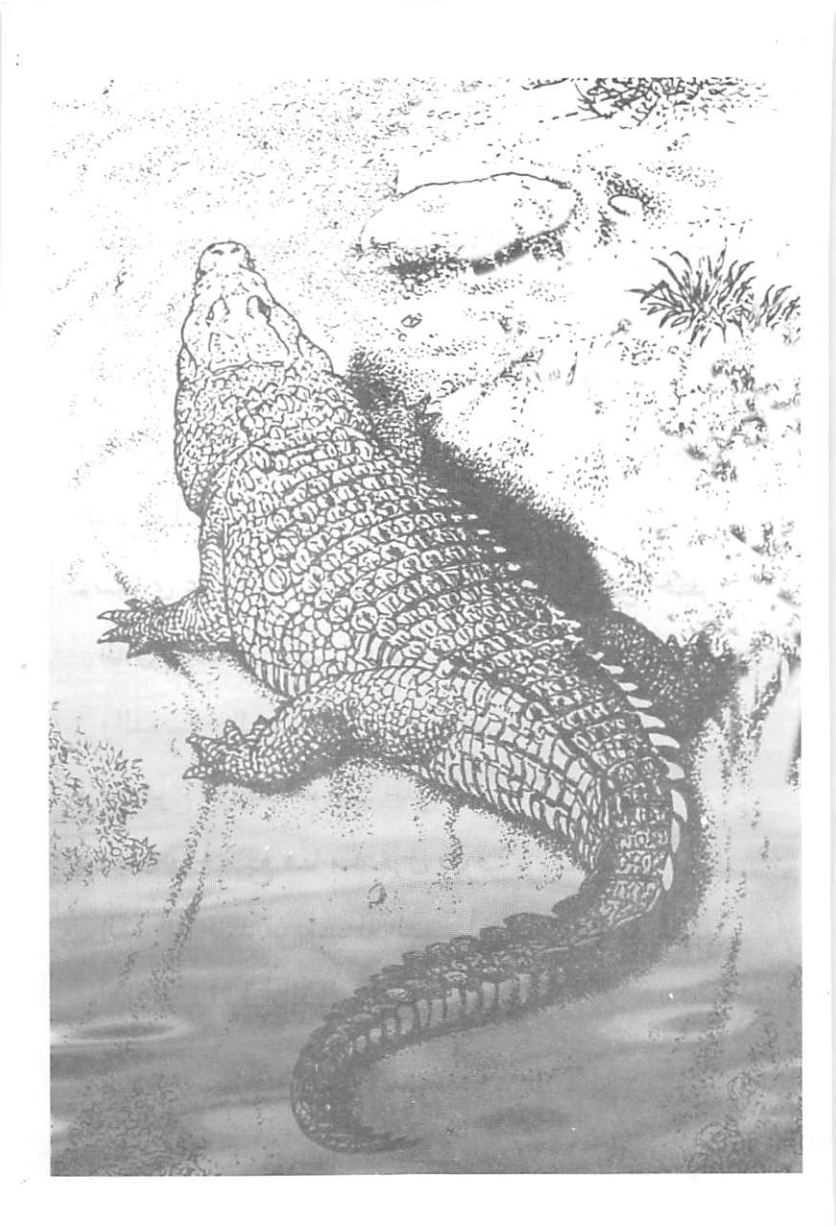
وشروره.. وأن الله أرسله لحمايتنا والدفاع عنا .

ـ أمر عجيب.. ولكنى أراك قلقا يا سيدى الزعيم

ـ لابد أن أقلق على أهل بلادى كلهم.. حتى على أهل عضام وبهائمهم وأغنامهم

ـ شيء عجيب.. تقلق عليهم وهم يريدون أن يدخلوا أرضك ويأكلوا حقك..؟!!

ـ التمساح يا مؤمن عدو للجميع.. وإذا كان اليوم يأكل فى أرض عضام وينهب منها فسيأتى اليوم الذى يقضي عليهم وتدور الدائرة علينا نحن ويأكلنا، ولا أستبعد أنه سيتكاثر على دمائنا ولحمنا وينتشر فى النهر ويسبح إلى نهركم فى مصر بذرية من التماسيح المفترسة ليقضى على



المصــريين كـلهم وينهب خـيــراتهـم.. هذا هو مــا يقلقنى يا صديقى.

احس مؤمن فى نبرة الزعيم عبدالله خوفاً شديداً.. ولما ذكر مصـر خاف مؤمن وأدرك أن لابد من التحـرك السريع للقضاء على التمساح:

- سيدى عبدالله .. أنا مشفق عليكم لما أراه من الخطر الذى يحـدق بكـم.. قـوات عـضـام من نـاحـيـة والتمساح الرهيب من ناحية أخرى، ولكن .. لماذا لاتتفرغ لتدريب قواتك على الدفاع والهجوم .

- كيف والجميع هنا مشغول بإرضاء التمساح.. إن السر الوحيد فى مسالمة التمساح لنا.. هو ما يلقيه أهل القبيلة فى النهر من ماشية وأغنام.

ـ ولماذا . . ؟ لماذا يفعلون ذلك يا سيدى . . ؟

ـ ألم أقل لك . . اعتقد الجميع أن التمساح هو حامينا فاندفعوا يلقون بالقرابين إليه.

ـ هكذا؟ . . بهذا الاسراف ؟ . . ماشية وأغنام ؟ . . ماذا سيأكل الناس إذاً؟

ـ يقولون . . لا يهم أن نأكل . . المهم ألا نُؤْكَل . .

ـ آه . . آه . . إنها سلبية وضعف . . ومداهنة لوحش كاسر ليس له إلا السيف.

ـ يقول إمام الجامع الكبير فى القرية التى على ضفاف النهر . . إن هناك تماسيح كثيرة، والحقيقة يا مؤمن أن قبيلتنا أضعف من أن تواجه هجوماً ضارياً من التماسيح فى الليل.

ـ وماذا فعلت بقية القبائل ؟

ـ أكبر قبيلة هى قبيلة عضام .. أما القبائل الأخرى فهى مثلنا .. لاحول لها ولاقوة يرمون القرابين للتمساح للحماية ولدفعه نحو عضام الذى لايرحم.

ـ ولماذا لاتجتمع القبائل كلها لقتل التمساح ولتأديب عضام الذى لن يتورع فى تحطيمكم جميعاً.

ـ ها ها .. أنت تحلم ياصديقى .. تحلم .. أنا يامؤمن اعتقد مثل اعتقاد إمام المسجد أن هناك عدداً كبيراً من التماسيح فى النهر وأننا لو هاجمناهم فسنباد عن آخرنا .. إننى لاأتصور .. عندما تنتقم التماسيح أنهم سوف يفدون أفواجاً أفواجا فى عتمة الليل ..

تلمع جلودهم فى ضوء القمر ثم يقوضون أركاننا ويقذفون فى أفواههم برجالنا ونساءنا وأطفالنا وأغنامنا .. لا .. لا ..

ـ أى لا ؟.. ولم لا ؟.. يا ربى .. بالأمس جلست إلى قائد لديه الجيوش التى تقهر الأمم وترفع راية العرب ولكنه يرفع سلاحه فى وجه جيرانه وإخوانه.. واليوم أجلس إلى قائد يركن بأهله للدعة والهدوء ظنا منه أن ذلك ينأى به عن الخطر..

لا .. لا ياسيدى.. إن لم تبادر بمباغتة التمساح .. فسوف يأتى اليوم الذى لاتكفيه القرابين كلها، وسيأتى اليك فى خيمتك ويأكل رأسك أنت..!

ـ وما العمل يا صديقى .. ما العمل؟

ـ الجهاد يا صاحبى..

ـ نحن قلة وهم كثير.. إنهم تماسيح .. ألا تعرف معنى التماسيح..

ـ ياإلهى .. ياإلهى ..

ـ ماذا بك يامؤمن؟

ـ يا سيدى عبدالله.. لم يأمرنا الله تعالى بالخضوع أبداً لكافر أو غازٍ أو وحش كاسر ينوى بالمسلمين شرا.. بل أمرنا أن نجاهد بأنفسنا وأموالنا فى سبيله.. والله يعلم أن التماسيح قوية وشرسة وتفوقنا قوة وعدداً..

ـ ماذا إذاً؟

ـ آه .. ماذا إذاً؟.. إذاً يا صاحبى .. الله يريد أن يرى

ماذا سنفعل فى أوامره.. هل سنخاف من العبيد ونذكر بطشهم ولانخاف منه وننسى بطشه.. ونتغافل عن جنده ولانطمئن لنصره.

ـ كلامك يثير فى نفسى الألم.

ـ تألم ياصديقى .. تألم كما يتألم كل عربى يريد النجاه من خطر التمساح الكاسر من قبل خرج الرسول ﷺ وصحابته لملاقاة جحافل الكفر وهم أضعاف مضاعفة لقوة المسلمين .. خرجوا لايخشون إلا الله.

ـ نعم كانوا يعلمون أن الواقع يرفض حربا غير متكافئة.

ـ الإيمان بالواقع لا ينفى ضرورة الإيمان بالقدر

والقـدرة الإلهيـة على تغـيـيـر القـوانين والنواميس لصالح الخير والحق والإسلام.

ـ وهل تدرى ماالحكمة فى ذلك يامؤمن؟

ـ سل نفسك .. وستجيب عليها.. وستقول لك النفس التى خلقها الله أن الحكمة من ذلك أن ننجح فى الامتحان .. الإبتلاء الذى نحن بصدده.

إن وجود هذه التماسيح محنة واختبار.. الذى أوجدها هو الله .. وهو القادر على فنائها .. الحكمة ياصديقى أن تكون مقتنعاً بضعفك ولكن فى ذات الوقت تكون على يقين من قوة الله الذى ينصرك.

ـ كم أريد نصرة الله يامؤمن...!

ـ إن الله ينصر من ينصره يا سيدى.. إن تنصروا الله

ينصركم ويثبت أقدامكم.

كان عبد الله مقتنعاً بالحديث.. لكن مؤمناً فشل في تحويل هذا الاقتناع إلى مبادرة عملية إن هذا الرجل يريد .. ولكنه يخاف .. مازال ينقصه الإيمان القوى..! الذى من قبل حرك أصحاب الرسول وهم قلة ليهزموا المشركين وهم كثرة بإذن الله.

وعندما حان صباح جديد لم يجد مؤمن إلا الرحيل من هذا المكان وهو يتوجس خيفة من نشوب الحرب أو هجوم التماسيح على المكان بأهله.

وعاد مؤمن موجهاً وجه الجواد نحو بغداد.. وبعد رحلة طويلة دخل المدينة فى الظهيرة.. ولما اتخذ مسجداً بين الناس فى الصلاة سمع منهم بعدها أن

عـضـام فى الكوفـة شن هجومـاً شنيـعـاً على عـبـد الله واسـتـطاع أن ينـهب أرضــه . . وأن هجـومـاً آخــر من التـمـاسـيح قـد حـدث بالليل على قـبـيلتـه مما جـعله يتــراجع عن عــمله ويتـرك الأرض بعـد أن أعــمل التـمسـاح أسنانه فى الناس والبـهـائم . . ، وسمع مؤمن أيضا كلاماً عن قدسيـة التمساح وقـوته فى الدفاع عن الأبرياء . . ، وبدا له أن الناس فى بغداد أيضـا أصـبحـوا يمـجدون التـمـسـاح . . ، بل لـقـد رأى بعـضـهم فى أول الليل يلقى البـهـائم فى النهـر قربانـا للتـمـسـاح حتى يحـمى لهم بيـوتهم وحـقـولهم من أى شـر . . فـجلس حـزينا لما يـجـرى بـين الناس من الجـهل والتـخلف عن ركب الإيمان القوى بالله ـ عز وجل ـ .

وبينا هو كذلك إذ رأى أحد الناس يصحب جملاً محملاً بالخراف يريد أن يرميه في النهر فاعترضه صياد شاب مفتول العضلات :

ـ أنت يا رجل .. ماذا ستفعل ؟

ـ لا شأن لك بي ..

ـ هل ستلقى الجمل بما حمل إلى النهر .. اعطه لى وأنا سأتولى حمايتك .. أنا أحق به من الغرق .

ـ ابتعد عنى يارجل . لاشأن لك بما أفعل .. التمساح حامى حمى بلاد العراق والخليج كله ..

ـ أى تمساح أيها الرجل الأبله .. عد بالجمل إلى أولادك .

لم يمتثل الرجل للصياد .. بل ألقى بالجمل إلى

النهـر وظل يراقبـه حتى تأكد من غرقه ثم عاد من حيث أتى فى حين كان الصياد يضرب كفا بكف فتقدم إليه مؤمن وقد رأى فيه عقلاً بحث عنه طويلاً:

ـ السلام عليكم .. هل يعجبك هذا الحال؟

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. عجباً..غلام صغير يرفض الجهل والضعف.. من أين أنت يا غلام؟

ـ هل أجد مكاناً أبيت فيه واستريح ثم أقص عليك حكايتى.

ذهب مع الصياد إلى كوخ خشبى كان يتخذه الصياد مسكناً.. ولاحظ الصياد أن ضيفه قد أكثر من الشرود بعد أن تناول الغذاء.. فلم يشأ أن يزعجه

بل أوى إلى فراشه فلما لم يجد مؤمن من يحدثه.. قرر الخروج من الكوخ إلى النهر مرة أخرى .. إن أكثر مايثير دواخله أن يرى التمساح ولو مرة.. مرة واحدة.

كان النهار يلملم ثوبه مستعداً للرحيل والشمس تدفن نفسها فى الأفق البعيد ويذوب الأبيض فى الاسود رويدا رويداً .. وهاهو الغلام.. محب المغامرة .. يقترب من النهر بحذر شديد لعلمه مدى سرعة وفجاءة التمساح.. أخذ يدنو شيئا فشيئا حتى انتهى عرض المدق الترابى وبدت حافة النهر منخفضة تحتاج النزول إليها على أحجار كأنها غرست فى الاعشاب وبقايا نباتات النهر المائية.

الظلام يغلف الماء الآن، ولايبين له كنه الأشياء تحت قدمه.. تذكر مغامرة الأدغال المتوحشة .. وكيف أن التمساح فيها كان يبدو كأنه لوح من الخشب يطفو على ماء النهر:

لم يكن هناك غير صوت الماء ينساب محتكا بالهواء وصاحبنا أصبح يقف بقدميه الاثنتين فوق صخرة مستديرة تكاد تكفيها، ينظر فى الماء الجارى ويده على قبضة السيف متحفزاً وأحس بعد قليل بصوت يعبث من خلفه.. فى البدء لم يكترث .. ثم انتبه إلى الخطر.. أخذ ينظر حوله وهو متحفز قلق.. وسكن الريح لحظة فانقطع الصوت وأدرك أن أصواتا من القرية قد حملها الريح .. فلما هدأت

نفسه واستدار ينظر للنهر.. إذ بشئ ثقيل يسقط على كتفه.

قفز مؤمن رعباً والسيف فى قبضته إلا أنه ابتسم دفعة واحدة وقال متنهداً :

- سيدى الصياد.. لقد أخفتنى.

- ما الذى أتى بك إلى هذا المكان؟

- التمساح.

- يا إلهى.. ألا تخف أن يلتهمك!!!؟

- سيدى الصياد.. هل تساعدنى فى القضاء عليه.

- بعد ماسمعته منك أثناء تناولنا الغذاء.. اعتقد أننى فى شوق للتعاون معك .

- أنت لم تسمع حكايتى حتى الآن.. ولكن ما

أستطيع أن أخبرك به أننى قمت برحلة فى النهر من منبعه إلي مصبه فى عشر سنوات.

- ياه.. عشر سنوات.. سيدى:. أظن أن الأمر لا يحتاج لأكثر من شهر.

- لا يا ولدى.. فأنا كلما مررت بأرض نزلتها وشققت فيها الترع ونظمت فيها الأرض وتركت أهلها يزرعونها.

- أنت فلاح إذاً..؟

- كل واحد فى الدنيا فى دمه الفلاحة يا ولدى.. ولكن تغلب عليه هوايته.. أما هوايتى التى أحبها.. الصيد.. اذهب إلى أى مكان فى العراق واسأل عن عدنان الصياد ستجد لديه حكاية عنى.

ـ يا الله.. مرحباً بك يا عم عدنان.. والآن هل نخطط سوياً لعملنا ؟

حل عدنان مرساة الشراعية الصغيرة وقفز إليها وهي تطفو لتشق عباب النهر وقد فرد شراعها مستقبلا الريح محتضناً إياها في قلبه لتدفع الصديقين إلى حيث المهمة الخطرة.

وظلا على حالهما لمدة أيام حتى أصبحا على مقربة من هدفهما :

ـ مؤمن.. صديقي.. اعتقد أن علينا الرسو هنا.

ـ لم نصل بعد إلى الكوفة ياعم عدنان.

ـ اسمعني يا ولدي.. أنا أدرى منك بهذا النهر.. لقد اقتربنا بما يكفي لأن نتحرك على اليابسة .. وفي

الحقيقة .. قلبى قلق يا مؤمن .. لا أعرف لماذا أشعر بالخوف.

نظر مؤمن للصياد وأحس كم هو فزع من احتمال مفاجأة التمساح.. وعرف أنه لن يستطيع أن يثنيه عن رغبته مادامت كانت قائمة على خبرة قديمة:

ـ الحق معك ياعم عدنان فالغروب يقترب.. وهذه الأماكن بعد قليل ستتحول إلى ظلام.

توجه عدنان بالمركب إلى شاطئ النهر ثم رسا بها وقفز مؤمن إلى اليابسة فربط المرسى بجذع شجرة.

كان المكان يشبه الغابة إلى حد كبير فالأشجار كثيرة ولو أنها متفرقة وتنمو أعشاب طويلة فى أرض

رملية صفراء لازبة وتناثرت بعض المستنقعات المليئة بالأشجار الكثيف على بعد يسير من حافة النهر.

نزل عدنان الصياد يعاون مؤمناً فى ربط المرسى، ومن ثم إنزال الامتعة اللازمة للمعسكر والأحبال، وأخذا يعدان معسكراً بسيطاً على شكل خيمة فى بقعة جافة بين الأشجار وبعد أن استتب لهما الأمر جلسا يحتسيان الشراب الدافىء داخل الخيمة بينما لايسمعان إلا صوت الريح ونباح الكلاب من أماكن بعيدة:

ـ والآن يا مؤمن .. ما العمل؟ . ونحن على بعد أميال قليلة من الكوفة .. أتعرف .. إن تمساحاً كهذا الذى نسعى إليه يستطيع أن يقطع المسافة فى الماء

من هناك إلى هنا فى دقائق معدودة.

- إذن علينا بعمل مجموعة من الفخاخ على طول حافة النهر.. لدينا أحبال كثيرة.

- ماذا تقول؟.. نحتاج على طول حافة النهر إلى الكوفة؟.. هذا سيستغرق منا عدة أيام.

- وماذا فى ذلك؟ .. لقد أتينا من أجل مهمة سامية.. ونعلم أننا سنلاقي مشاقًا كثيرة.

تململ عدنان الصياد فى مجلسه ثم تثائب ونظر لمؤمن بعينين مجهدتين ثم سحب غطاءه:

- أعتقد يا صديقى أن النوم الآن هو أهم من أى شئ.. وكما تقولون عندكم فى مصر «الصباح رباح»

ابتسم مؤمن وقال:

ـ نصف الليل فقط يا عمنا الطيب.. فأنا سأحرسك نصف الليل ثم أنام وتحرسنى حتى الصباح.

ضحك الإثنان ثم تدثر عدنان فى غطائه وراح فى سبات عميق وخرج مؤمن حارساً للخيمة وقد أسدل الليل رداءه.. وكان الظلام مخيفاً بحق.. ولولا أن الخيمة فى مكان مرتفع قليلا عن النهر بحيث يمكنه المراقبة لذاب من الخوف . فكل شئ على الأرض يتحول فى ناظره إلى شبح تمساح.

أخذ يلتفت يمنه ويُسرة ويقفز هنا حيناً وهناك حينا آخر.

كان يتذكر التمساح الذى تعرض له من قبل فى الأدغال المتوحشة .. ولكنه كان صغيراً جداً إذا ما

قورن بالوحش الذى يبحث عنه الآن.

قضى مؤمن ليلة مرعبة ولما حان موعد راحته. لم يستسلم للنوم بسهولة.. ولكن التعب غالبه فنام نوماً مؤرقاً .

وفى صباح اليوم التالى .. كان نور الصباح يبعث بالامان .. قام ليجد عدنان قد نام مرة أخرى وقد حان بزوغ الفجر فأيقظه.

وبعد صلاة الصبح تناولا ما يعينهما.. ووقف مؤمن على باب الخيمة يقول لصاحبه:

ـ هيا ياعم عدنان.. أمامنا عمل طويل.

وبعد قليل أصبح الاثنان فى شغل منهمكين.. لقد أحضر كميات الأحبال وأخذ يقطعها قطعا

متساوية وبعد أن فرغا.. أخذ مؤمن يعلم صديقه كيف يصنع الفخ.. وجرب مؤمن بنفسه أحد الأفخاخ فقبض عليه الفخ ثم رفعه من قدميه بسرعة واندفع لأعلى حيث تدلى من الشجرة.

ـ جميل يا مؤمن.. مارأيك لو تركتك هكذا؟.. ها ها ها..

كان مؤمن متدليا لأسفل يضحك.. حتى أنزله عدنان وجلسا يكملان عملها بجد ونشاط وحماس منقطع النظير.. ومضى اليوم بأكمله فى اعداد الأفخاخ.

وفى اليوم التالى أخذا ينصبان الافخاخ على الطريق.. ينتخبان أحسن الأماكن واكثرها حيث

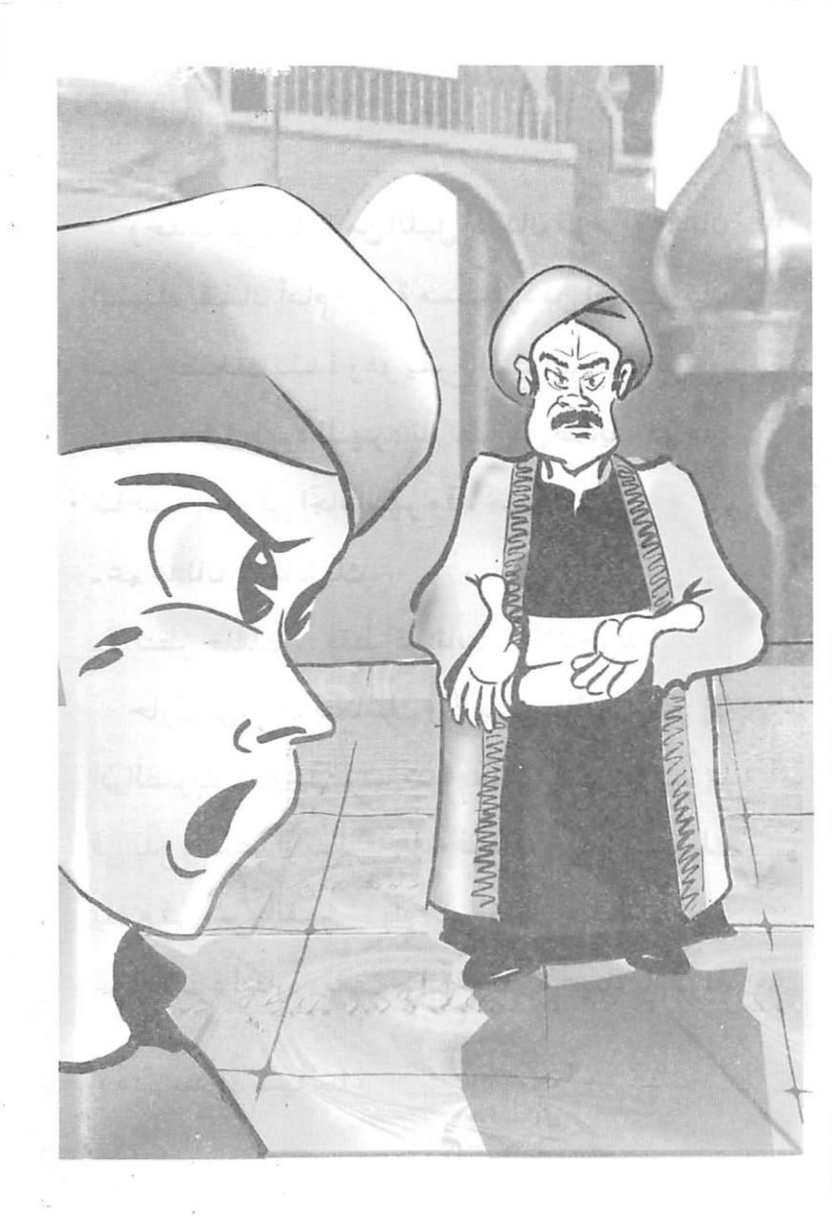
يتوقعان خروج التمساح منه.. وظلا على ذلك عدة أيام حتى أنهما نقلا المعسكر بالكامل بالمركب إلى أقرب مايكون من الكوفة:

ـ الحمد لله.. لقد زرعنا الأرض بالأفخاخ .. وأظن أن التمساح لن يفلت .

لقد تعبت كثيرا ياعم عدنان.. ويجب أن ترتاح .

ـ لا ياولدى.. إن الضحايا الذين يموتون، والجهل الذى تفشى فى الناس ليرموا بأموالهم فى النهر يتعبنى أكثر من ذلك.

ـ فى الحقيقة أنا متشوق لأرى هذا التمساح متدلياً من شجرة.. بل إنى فى شوق لأراه، تصوّر.. نحن الآن لا نعرف كيف يكون هذا التمساح؟



وحدث فى ساعة من الليل إذ كان مؤمن وعدنان الصياد يقفان أمام حزمة مستعرة من الحطب كان مؤمن يضحك بشدة وهو يفرغ الشراب الساخن فى كوبه معطيا ظهره للنهر، ثم نظر إلى صديقه فوجده شاخصا ينظر فى اتجاه النهر وقد تجهم تماماً.

ـ عم عدنان .. ماذا بك..

ـ لا تنظر خلفك .. فقط كن ثابتا .. لاتتحرك .

حاول مؤمن أن يتماسك وأن يظل كالتمثال .. إلا أن الصوت الذى يقترب منه جعله ينتفض ملقياً بما فى يده واستدار ينظر خلفه فإذا بالجلد السميك يلمع فى ضوء القمر .. رآه على كامل حجمه.. يزيد عن العشرة أمتار.. يقف بزاوية وتلمع عيناه بالشره،

نظر مليا إلى رأسه الضخمة وفمه المتعرج كأنه يبتسم قبل الانقضاض لالتهام الفريسة.. لم يكن معه شيئ.. فالسيف فى الخيمة.. حتى عدنان لم يكن يحمل إلا حجراً بيده.. وتسمر مؤمن مكانه.. والوحش قابع ينتظر اللحظة الحاسمة .

تصبب العرق من جبينهما.. وسمع مؤمن بأذنيه عدنان الصياد يبكى ويتشنج إذ أحس أن نهايتهما قد حانت. ولكن التمساح بدا وكأن لم يرهما أو كأنه كان يستعرض قوته فقط.. فهاهو يستدير ثم يضرب مؤمن بذيله ضربة أطاحت به بعيداً.. ثم اندفع يدلف إلى الماء مرة ثانية.

فسقط عم عدنان مغشياً عليه فى بركة من

العرق.. بينما قام مؤمن يتحسس جسده خشية أن يكون قد أصابه مكروه .. وجرى إلى عدنان الصياد وأخذ يعمل على إنقاذه من غشيته.. فلم يفق إلا بعد أن سكب على رأسه ووجهه بعض الماء.. وأخذ يهدئ من روعه.

ـ لقد رحل ياعم عدنان.. لقد رحل.. الحمد لله الذى نجانا منه ..

ـ مؤمن.. أنا لا أقدر.. لاتتركنى يا مؤمن.. أرجوك.. يجب أن نبتعد عن هذا المكان بسرعة.

وفي الليل لم ينتظرا الصباح .. بل ذهبا يرحلان إلى مكان صحراوى ظنا أنه سيكون بمأمن أكثر من ذى قبل واقترب طلوع الفجر عليهما وبينما هما



يتثاءبان طمعاً فى غفوة بعد كل هذه المعاناة .. إذ لاح لهما شبح امرأة تأتى مهرولة من خلف أحد التلال الرملية.. حمل مؤمن إناء الماء ثم جرى نحوها حتى إذا أدركها سقطت أمامه .. فجعل يسقيها الماء حتى استطاعت الحديث :

ـ النجدة.. النجدة يا ولدى.. عضام.. عضام الملعون.. لقد أغار علينا وسلب أرضنا وقتل شبابنا.

ـ أنت من قبيلة عبد الله أليس كذلك؟

ـ نعم يا ولدى.. أرجوك أن تفعل أى شئ.. هذا الملعون.. إنه ينتقم من التمساح فى قبيلتنا .. لقد هاجمه التمساح بالأمس وأشبع قبيلته فتكاً.

عاد مؤمن والسيدة إلى حيث كان عم عدنان فى الخيمة..

-أرأيت يا عم عدنان.. العرب يتناطحون فيما بينهم.. بينما يتغافلون عن الخطر الذى سيدمر أمجادهم.. ماذا لو تعاونوا فقضوا عليه؟

-أعتقد أن علينا عمل أى شئ للقضاء على التمساح أولاً.. أنا وأنت يامؤمن.. اعتقد أننا بالأمس تعرفنا عليه.. أما هذه المرأة فلها ما شاءت.. أن تبقى هنا أو تعود لقبيلتها.

خافت السيدة من العودة فجلست فى الخيمة.. وأحضر مؤمن قطعة من اللحم المجفف وأخذ يغمسها فى السم الزعاف وبعد ذلك تحرك مع عم عدنان فى

الطريق الذى أتيا منه بالأمس ليضعا اللحم المسموم للتمساح .. وفى مكان قريب من حافة الماء وضعاها :
ـ اذا لم يقع التمساح فى أحد الأفخاخ فلسوف تقضى هذه القطع المسمومة من اللحم على وجوده تماما .

قبل أن يكمل عم عدنان كلامه إذا بالتمساح يشق الماء بجسد مدرع يثير الرعب وفى هذه المرة اندفع مسرعاً نحوهما وتنبها فى اللحظة الأخيرة .. كان القيام من الجلوس والشروع فى الجرى يستلزم جهدا وفترة من الزمن .. استطاع مؤمن أن يجتازها بصعوبة أما عدنان الصياد فقد حاول أن يفلت من مجال التمساح إلا أنه تعثر ثم وقع على يديه وهو يرى التمساح يقصده هذه المرة بقوة وغدر .. انقلب

عـدنان على ظهـره زحف للخلف فى مـحـاولة يائسـة وجرى مؤمن مـبتعداً.. لقـد جمدته المفاجـأة تماماً وهو يرى التـمـسـاح لم يـمـهل عـدنـان الصـيـاد.. بـل قـبض بأسنانه على طرف سـرواله وعـاد يتـقـهـقـر به إلى الماء.

ماذا يحدث ؟.. جرى مؤمن نحوه بضع خطوات.. لكن التـمـسـاح كـان أسـرع.. فلـم يتـبق من عـدنان الصـيـاد غـيـر أثار أصـابعـه لما حـاول أن يتـشـبت بالأرض.. اندفع مـؤمن إلى حـافـة الماء فنظر.. فـإذا كل شئ أصـبح هادئاً .. اخـتـفى التـمـسـاح ومعـه عم عـدنـان الطيب وعـادت صـفـحـة الماء تنسـاب رائقـه فهمس مؤمن بالماء :

ـ عـم عـدنان .... آه .. آه .. أنا مـخطئ فى حـقك يا صـديقى .. آه .. أنا جـبـان .. جـبـان .. تركتك ولم أفعل شيئاً من أجلك .. تركته يأكلك ولم أمد يدى لنجدتك .. أنا جبان جبان .

استدار مؤمن ثم سحب سيفه بغضب شديد ثم استدار مرة أخرى .. وراح يلقى بنفسه فى الماء ثم يضرب بسيفه سطحه ويلوح بالسيف فى الهواء فى ثورة عارمة .. حتى أنهكه التعب فخرج يزحف ثم سار عائداً فى طريقه إلى الخيمة يجر أذيال الخيبة يتقطر منه الماء والعرق والدموع والندم .

وصل مؤمن إلى الخيمة فلم يجد المرأة هى الأخرى .. فرجح أن تكون قد عادت إلى أهلها قلقا

عليهم، فجلس وحده يبكى صديقه الذى راح دون أن يبادر بنجدته وراح يلوم نفسه:

-« كفاك يا مؤمن.. كفاك مغامرات إذاً.. فقد أصبحت رعديداً.. اصبحت جباناً، بالأمس كنت تصول وتجول وتهاجم أشرس المخلوقات.. واليوم تترك صديقك دون أن تنقذه..، أأصبحت تخاف على روحك؟.. أهكذا يكون المؤمن؟ آه يا صديقى الطيب - قام مؤمن من شدة التعب والحزن وأخذ يحلم بأنه يصارع التمساح فيهزمه ويقطع جسده بالسيف ولما قام من النوم شعر بأن عليه الذهاب إلى قبيلة الطاغية حتى يلقنه درساً لاينساه وانطلق بعد أن صلى ولم يأكل طعاما حتى وصل إلى

القبيلة التى استضافته فى أول الأمر فسأل عن عضام حتى مثل بين يديه :

- ماالذى عاد عليك بعد أن دمرت جيرانك ؟

- التمساح . أتدرى ماذا حدث . . بعد ماقمت بتأديب عبد الله وقبيلته ، رضى عنه التمساح . . ولأول مرة منذ سنوات لايزورنا التمساح ولايهدد أرجائنا . . لقد خيب التمساح ظنون الناس كلهم .

- التمساح التمساح . . ماهذا التخريف ؟ . . هيا ارجع إلى رشدك ورد لعبد الله ماسلبته منه . .

- ها ها . . قل شيئاً آخر . . هيا اجلس سنعد لك وليمة طيبة .

رفض مؤمن دعوته وأحس بمدى مرارة الحزن الذى

يملأ قلبه.. فما وجد مغامرة لاقى فيها العناد والحسرة مثل تلك المغامرة الشاقة.

أحس بالفشل يحيط به من كل جانب.. كل شئ تغير الآن.. فما عادت لديه قدرة على الإقناع ولم تعد لديه فكرة أو حيلة تعيد الأمور لنصابها.. ولم تعد لديه قوة يرفع بها ذراعه أو سيفه.. تراجع مؤمن.. والدنيا مظلمة فى عينيه إلى الخيمة.. وفوجئ بالمرأة البدوية تجلس تعد طعاماً ساخناً له:

ـ أنت سيدتى ؟.. ظننت أنك عدت لقبيلتك.

ـ قبيلتى ؟.. لم يبق منهم واحدٌ.. لقد فر عبدالله بما بقى من الرجال إلى الصحراء وتركوا كل شئ للملعون الطاغية.

ـ اذن أين كنت فى الصباح؟

ـ ذهبت أجمع بعض الطعام.. ولكن أين صاحبك الذى خرج معك؟

نظر إليها مؤمن بألم شديد ثم سحب سيفه ووضعه بجانبه وزرف الدمع من عينيه:

ـ ذهب فى بطن التمساح.

وقبل أن تسأله مرة أخرى.. أشار لها بالصمت ولم يأكل شيئاً .. بل وضع رأسه متوسداً ذراعيه وادعى النوم.. وخيل له أن يذهب إلى موضع الحادثة عسى أن يجد الوحش فيقاتله مقاتلة المستميت فيقتله أو يموت شهيداً.. وسار مغادراً الخيمة والظلام يستأذن فى تلوين الجو وراح إلى موضع فراق

عـدنان.. فكان كـل شئ هادئاً..، أخـذ يقـذف النهـر بالأحـجار عـسى أن يستنفـر التمـساح فـيخـرج له دون جـدوى..، تعـب .. جلس مكـانه، ووضع رأسـه بـين رجليـه يبكي.. ومـرت لحظات ثم إذا بشـخـص يضع كفه على كتفـه..، فانتـفض ليـرى من هو.. ثم صـاح صارخاً:

- عم عـدنـان.. بـسم الله الرحـمن الـرحـيم.. أنت .. مستحيل.. غير معقول!!!

- هل أنت روح الرجل أم أخ له أم.. أم عدت للحـياة.. هل .. هل أنـت شبـح؟

ضحك عدنان الصياد وقال له:

- بل أنا عـدنـان صـديقك .. هل ظنـنت أن التـمـسـاح

أكلنى؟.. ها ها ..

ـ ولكن.. ولكن .. لقد .. أنا رأيت..

ـ ها ها .. رأيته وهو يسحبنى من السروال إلى الماء فظننت أنه قضمنى ثم ابتلعنى.. أليس كذلك؟! ونسيت أننى كنت أربط فى معصمى قطعة لحم مسمومة؟

ـ ياربى.. هل .. أيمكن أن يحدث....

ـ بفضل الله.. لقد حدث مالايصدقه عقل.. فعندما سحبنى التمساح إلى الماء غاص بى إلى عمق كبير ثم فعل معى فعل القط الذى يتسلى بالفار.. تركنى ليعبث بى قليلاً وأنا أقاومه.. ولكنى على الفور ألقمته قطعة اللحم والخوف يملأ قلبى ألا يفعل

السم فعله السريع.. فلقد مارست مهنتى فى الصيد كما انتفعت بها فى الغوص.. فأخذت أرتفع وارتفع والماء الاسود يكاد يقتلنى .. كنت أصعد واتوقع فى أى لحظة أن يقضمنى من رجلى.. ولكن الحمد لله .. لم يفعلها وتركنى ويبدو أن السم قد أثر فيه.. اشكرك يا مؤمن.

كاد مؤمن أن يجن.. وشعر أن عدنان الصياد يلومه ويوبخه.. ولكنه كان جاداً فى نبرته وملامحه.

ـ تشكرنى؟.. تشكرنى أنا؟.. علىٰ أى شئ.. على أى شئ تشكرنى يا رجل؟

ـ على ثباتك أمام التمساح.. أتعرف .. لقد اسديت لى معروفاً لا ولن أنساه ماحييت عندما لم تتحرك

ولم تهب لنجدتي.. لقد سمحت له أن يمارس عمله بهدوء.. أتعرف.. لو أنك تحركت ناحيتي لقبض بفكيه على رجلي وليس بعيدا أنه كان سيعض طرفي السفلي أو يشطرني نصفين خوفا منك.. واشكرك مرة أخرى على صناعتك الجيدة.. لم أكن أعرف أن السُم بهذه القدرة الفتاكة.

فجأة أحس مؤمن بمعنوياته تحيا من جديد بعد الموات.. وشعر بالغبطة والفرحة لأشياء كثيرة شاركت في ذلك.. عاد عدنان .. وبدا أن تصرفه سليما وإن لم يكن يقصده.. والأهم من كل ذلك أن التمساح قد ابتلع السم:

- ولكننا حتى الآن ياعم عدنان لم نتأكد من موت التمساح.

- ها ها ها .. ألم تسأل أين كنت أنا منذ خرجت من الماء حتى الآن؟

- يا إلهى.. غير معقول أنك كنت تحت الماء يوماً كاملاً.

- ها ها ها .. لقد حدث شئ غريب يامؤمن.. أن خرجت إلى الخيمة فلم أعثر عليك ولا على المرأة البدوية.. ويبدو أننى ذهبت إلى عضام فى نفس الوقت الذى عدت أنت فيه ولكنى وجدت مفاجأة.. لقد خرج التمساح ثائراً.. وهجم على القبيلة وأخذ الجند يرشقونه بالحجارة فلم يقتلوه

وظل يضرب الخيام والمنازل حتى لحق بعضام قبل أن يهرب ثم افترسه.. وبعد أن فعلها توقف وسط الرمال .. ولم يحرك ساكنا :

كاد مؤمن أن يصعق من الأخبار الجديدة :

- يا إلهى.. إذن.. لقد خرق السم أمعاء التمساح فخرج ثائراً.. لكنه مات بعد أن أدى المهمة.. يا سلام.. إن الله ياعدنان يقدر وخَيْر تقدير إنه تقدير الله العزيز العليم .

- أرأيت يا مؤمن.. لقد نجحت مساعيك من أجل الخير.

- الحمد لله .. الحمد لله.. كلما ازددت فى مغامراتى خوضاً أجدنى أخشع لعظمة الله.. ها أنا فى هذه

المرة أفقد كل سبل النجاح .. وأفشل فشلاً ذريعاً
وافقد كل الاسباب .. حتى أصاب باليأس .. فإذا
بالله يريني أن قدرته فوق كل قدرة وأن تدبيره أعمق
من أن أفهمه ..

ـ أتعرف يا مؤمن .. كنت أود أن أمنحك جوهرة مثل
بقية جواهر التاج ولكن ليس معى غير جوهرة
وهي غير ذات قيمة .. غير أنها هدية من شخص
أحبنى كثيرا وأحببته .

أخرج عدنان الجوهرة فى خجل ثم قدمها لمؤمن
الذى ابتسم وقال له :

ـ الجوهرة ليست بقيمتها المادية :. بل بقدر الذكريات
الجميلة التى قضيتها معك يا صاحبى .. وبقدر

الخير الذى انساب منا إلى الناس ولو أننا لم نفعل أى شئ.. كل شئ كان بأمر الله والحمد لله.

ولكن.. بقى أمامنا عمل شاق ياسيدى:

ـ عمل شاق؟.. وماهو.. أنا أتضور جوعاً.

ـ لابد أن نرفع الفخاخ حتى لاتصيب أحد الناس.

ـ ولكنى جوعان..

وعندما شرعا يلملمان الفخاخ مرة أخرى.. إذ بعدنان يصيح:

ـ مؤمن.. يا مؤمن.. لقد صاد أحد الفخاخ أرنباً برياً.

ـ ها ها ها .. انظر هناك.. هناك .. لقد صاد أحدها بطة سمينة .. يبدو أن الله يطعمنا أيضا يا عدنان..

الحمد لله.